

الترجمة (أو التأويل) بين السيمولاكرا (أو الشبية Simulacra) والنسخة (أو المحاكاة) (Mimesis)

محمد عبد الحميد المالكي

مدير "مختبر بنغازي للسيمائيات وتحليل الخطاب" / دولة ليبيا

ملخص:

ان اهمية تحليلات (ج. كانغليم) تبين أن تاريخ "مفهوم" ما، لا ينحصر في ميله التدريجي نحو الدقة، او سعيه المتزايد نحو المعقولة وارتقائه نحو التجريد، و انما هو تاريخ "تنوع" مجالات تكونه وصلاحيته، تاريخ قواعد استعماله المتعاقبة، وميادينه النظرية المتعددة التي تم فيها ارساؤه واكتمل.. ان الخطر الوحيد الذي يهدد "التأويل" هو ان نؤمن بوجود علامات تتمتع بوجود اصلي، اولى، حقيقي.. " (ميشيل فوكو)

"هجرة المصطلح"

يشكو المشتغلون بالنقد والفكر من الفوضى والتسيب في الاستخدام العشوائي عند ترجمة المصطلحات والمفاهيم، أو ما يعرف بـ "هجرة المصطلح"، فضلاً عن أسباب عديدة أخرى لسنا في صدها هنا، مما يجعل القارئ عاجزاً عن إدراك الفروقات والاختلافات بين هذه النظرية أو تلك، او بين هذا المفهوم وذاك. كما لا يدرك كيف أن المصطلح الواحد قد ينتمي إلى مدارس متعددة، مما يجعل القارئ في حيرة وارتباك، إلى حدود التنفير من العلم، او أخذ الأمر على أنه مدعاة للسخرية والتندر، وانه لا يعدو ان يكون مجرد لعب عبثي لا طائل من ورائه.

لن ندخل في تفاصيل تتعلق بمفاهيم ومصطلحات علوم النص عامة أو السيمائيات والابستمولوجيا، أو فيما بين النظريات من تباين واختلافات الأجهزة المفهومية المختلفة للمصطلح الواحد. اذ لا نبالغ إذا قلنا أن لكل نص\خطاب له سياق متميز لا يشبه غيره من النصوص، وبالتالي فهو يحمل معجمه الخاص به ايضا. او كما اوضح م. فوكو: "ان الخطاب هو "واقعة" نوعية و لا تتكرر..!"

الجهاز المفاهيمي (Defined system)

إذا كانت (definition) الإنجليزية تقابل في العربية الحد أو التحديد.. والحدود هي ما يتعين به المتصور (من الصورة، عكس المثال) ، والحدود هي التعريفات.. فأن تعرف فإنك تقيم حدوداً، كما يقال عادة بالمنطق الأرسطي، وما بعد الحد، فهو إدراك تصور ما (أو مفهوم concept)، فإن مسألة الحدود تؤدي إلى التعريفات، أي إلى المفهوم (= الشيء) أو التصور أو الماهيات.

لا يعيننا هنا إقامة الحدود والمفاهيم، بمعنى الهوية (= الشيء)، ذلك لأن سؤال الهوية (= الماهية): ما هو هذا الشيء؟ ذلك أن دلالة علامة التقييم (النقطتين)، هنا تعني امتلاك الحقيقة الكاملة والمطلقة والنهائية، وبالتالي لا تحتل الصدق أو الكذب (أو التأويل)، وكما يقول الشريف الجرجاني: "أن التصور هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات". ولكن ما يعيننا هنا إقامة الحدود، كتصنيف فقط، لصالح التأويل و الاحتمال، او (كيف؟) تشتغل الآليات وشبكة العلاقات

البنوية للنص "من أجل إنتاج معنى".

مدخل اولي:

لكن علينا قبل الاسترسال في المزيد من المرجعيات التاريخية بشأن هذين المفهومين (البنية و النظام)، التوقف قليلا لمراجعة ومساءلة بعض اجراءتنا النظرية. رغم اننا لم نختارهما بهدف التصحيح او التصويب، او حتى البحث عن الدقة المفقودة في الترجمات العربية، بل ربما تكون كل تلك الفوضى والانحرافات في الترجمات؛ كانت حافزا مهما لمطاردة المعنى. كما علينا ان نعترف ان هذا الامر و بفضلله قد تعلمنا منه ايضا. اذ انفتحت امامنا آفاقا معرفية ممتعة و جديدة. (هل هناك معنى آخر للبحث العلمي؟)

الترجمة التي بها نحيا.. (او التأويل) تعدد اللغات داخل اللسان الواحد

يقترح جاك دريدا مفهوم التحويل (Transformation) بدلا من مفهوم الترجمة. ذلك ان الترجمة ليست فقط من لغة اجنبية الى اللغة الام، بل ايضا داخل اللغة نفسها. و كما يؤكد هيدغر:

"انه ان كانت عملية الترجمة تلاقي ما بين لغتين، و تجعلهما تدخلان في حوار بينهما، فإن ذلك لا يشكل العنصر الجوهري للترجمة.. لان الكلام نفسه، اذا نطق به، و كتب داخل اللغة الام، يكون في حاجة الى تأويل. وبالتالي، فإن هناك بالضرورة ترجمة، و ذلك داخل اللغة الام ذاتها". و لعل هذا ما يبرر وجود قواميس لا تنقل لغة الى اخرى، و انما تترجم اللغة ذاتها. ما يشكل جوهر الترجمة. اذن، ليس كونها حركة بين اللغات، وانما كونها تأويلا، "فالتأويل والترجمة هما في جوهرهما الشيء نفسه". ()

عندما اشتغل جاك دريدا على مسألة الترجمة خلص الى ان "لا وجود لمعنى اصلي للغات، بعد ما تعرضت الآلسن الى البلبلة، بعد كارثة اخيار برج بابل. () وهنا يلتقط احدى النتائج العلمية المتأخرة لرائد اللسانيات البنيوية "رومان جاكبسون(عن الترجمة 1957)، وما دعاه بالترجمة "داخل اللغة Inter- Language او اعادة الصياغة "Rewording"؛ و التي تهتم بعلاقات التحويل القائمة بين اسماء الجنس والحمل العادية، كما يميز بين ثلاث اشكال للترجمة:

الترجمة داخل اللغة تؤول العلامات اللسانية بواسطة علامات من نفس اللغة. وهناك بعد ذلك، التسمية الجميلة، التي اطلقها جاكبسون على الترجمة الحقيقية، وهي: الترجمة بين اللغات (او داخل اللغة Inter- Language)، والتي تؤول العلامات اللسانية بواسطة لغة اخرى، وهو ما يؤدي الى نفس مقتضيات الترجمة داخل اللغة. و اخيرا: الترجمة على مستوى التبادل الدلالي (Inter-Semiotic) او التحويل الذي يؤول مثلا العلامات اللسانية بواسطة علامات غير لسانية. (دريدا، 254)

ملاحظة اخيرة:

تسعى بعض الدراسات والأبحاث الحديثة لتصنيف وتمييز النصوص الشفوية عن المكتوبة، فيما يخص الاختلاف بين تقنيات وآليات الإلقاء والكتابة. لأهميتها بشأن التساؤل: كيف وصلت إلينا تلك النصوص الكلاسيكية في شكلها النهائي الحالي؟ مثل: ألف ليلة وليلة، الزير سالم، السيرة الهلالية.. الخ. وكيف كانت آليات النسخ والنقل، قبل اختراع الطباعة؟ ومسائل عديدة أخرى، ولكن يعيننا منها هنا، كيف كانت تقنيات "الإملاء والإلقاء" للشيوخ المعلمين على المريدين والأتباع؛ والناسخ منهم تحديداً؟ أو كيف أن بعضهم كان على درجة عالية جداً من التركيز والإتقان، في المواكبة السريعة في الكتابة، ذلك لأن الكلام الشفوي أسرع من حركة اليد في الكتابة. وتتمثل مهارة الناسخ؛ في التعديل والتغيير،

بل وحذف الألفاظ التي تتكرر في الجملة الواحدة. إذ أن تكرارها في الشفهي قد يكون مقبولا؛ نتيجة لسرعة الاستماع و بطء حركة اليد، وضعف تركيز حركة العين من جهة أخرى.

ونحن نتكلم على الواقعة اللسانية على المحور التعاقبي (السيكروني الزمني)، أو تغيير النصوص عبر الزمن، كما هو الحال في النصوص التراثية القديمة، والتي تحتاج الى مقدمات للتفسير وشرح بالهوامش ايضا (التحقيق) الا يمكن اعتبارها انها ترجمة ايضا؟. وكما يقول هيدغر: "ان الكلام نفسه اذا نطق به وكتب داخل اللغة الام يكون في حاجة الى تأويل، وبالتالي، فإن هناك بالضرورة ترجمة، وهذا داخل اللغة الام ذاتها". (ترجمة 33)

بل قد نذهب ابعد من ذلك مع "امبرتو ايكو" ايضا في محاضرة له عن اللغة المثالية/ النموذجية. اذ ليس هناك لغة واحدة، بل هناك لغات متعددة داخل اللسان الواحد. لان اللغات الدارجة (اللهجات) لا تختلف بين المدن والقرى فقط، بل تختلف ايضا داخل المدن بين الاحياء الفقيرة وتلك الغنية. وكذلك بين كل المجموعات اللسانية المختلفة لاصحاب المهن الواحدة وبين الشباب والكهول. وكل هذا يحتاج الى عمليات شرح وتعبيرات اذا لم يتفاهم كل هؤلاء الفرقاء. كأن يستفسرا احدهما عن معنى مفردة من المفردات او شرح معاني الكلمات. (هل هناك معنى آخر لمفهوم الترجمة؟)

الترجمة التي نحيا

واذا كانت نتائج اجاث "جان كوهن" الشعرية (Poetics)، او "لاكوف" بشأن الاستعارة، وبالتالي البلاغة، مسألة لا تخص النصوص الادبية فقط، بل تخص كل الاجهزة الاتصالية في كل تعبيرات لغة الحياة اليومية ايضا. () فان الترجمة، بعد كل ما ذكرنا سلفا، هي ايضا قائمة في تعبيراتنا وكلامنا المتداول في حياتنا اليومية، كما في النصوص المكتوبة: الادبية او لغة الصحافة او الاعلام المرئي و المكتوب... الخ.

ذلك لان الترجمة، كما اوردا سلفا، هي عملية نقل و تحويل لـ "المعنى"، او هي "تأويل" باعتبارها شرح وتفسير، ليست فقط كما في القواميس و المعاجم في نفس اللغة (عربي/ عربي) او المزدوجة اللغة (الانجليزي/ عربي)، بل ايضا في كل افعال الكلام الحياة اليومية. فعندما مثلاً؛ نريد ان نستفسر او نستوضح عن أمراً ما بأسئلة مثل: ماذا تقصد؟ ماذا تعني بقولك هذا؟ حينها ستكون مكرها على التفسير والشرح بكلام آخر غير الذي قلته منذ لحظة فقط لنفس الشخص. و تلك لها علاقة "بمجال صراع الرغبات و ارادة القوة، بل و إرادة الإرادة" (25 الترجمة)، او هي صراع بين برنامجين سرديين (غريماص)، اذ يمكننا ان نعتبرها، من ناحية اخرى، انها صراع بين ذات المؤلف (مرسل) و ذات المترجم (متلقي)، كما سيوضح معنا فيما سيأتي.

الترجمة كفعل تلقي لـ "مؤول"، او كيفية تعقل العالم (السيموز Semiosis)

بدون الدخول في تفاصيل نظرية، اذ يعيننا منها هنا: اشكالية "كيفية انتاج المعنى" في الترجمة. اما اذا كان "المعنى" لا يكون بدون حضور الذات الفردية الساردة (منتج الخطاب/ ضمير المتكلم) من اجل إنجاز الخطاب السردى المتميز والنوعي والذي لا يتكرر. فإن إنجاز المعنى بالنسبة للسارد ذو قصيدة محددة تهدف للتأثير على المتلقي (التداولية pragmatic)، وهو بالنسبة للمتلقي ذو معنى تأويلي (= القابلية للتأويل)، أو تعدد التأويل اللانهائي، بعدد القراء الفعليين لحظة فعل القراءة، او المشاركة في مسؤولية أنتاج المعنى. () ونعني بـ "المشاركة في المسؤولية"؛ المسؤولية التضامنية بين "منتج النص" و بين "المترجم"، باعتبار الاخير متلقي (مرسل اليه). باعتبار "المعنى" تأويلي يبدأ من التعرف التعرف على معني النص الموضوعي كشيء متميز عن قصدية المؤلف الذاتي، هذا المعني الموضوعي ليس بالشيء الخفي فيما وراء النص، بل هو

طلب يوجه إلى القارئ، وبالتالي فإن التأويل هو نوع من الخضوع للأمر الصادر من النص.. هذا الانتقال في داخل (التأويلية) من الاتجاه الرومانسي إلى اتجاه أكثر "موضوعية" هو نتيجة رحلة طويلة من البنيوية.. والتخلي بالتالي عن تعريف التأويلية عن وصفها: تأويلاً للغة رمزياً". (15).

أما إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة الفصل بين مادة الخطاب وبين حقلها الدلالي/التداولي في تلقي النص، فإن سلطة المترجم (متلقي/مرسل اليه) محكومة بهذا الحقل أو ذاك (نسبية المكان الزماني). كما أن ذات المترجم، تحدث تغييراً في نص المؤلف ضمن إستراتيجية التلقي (التأويلية)، لكنه تغييراً كمياً وليس نوعياً أيضاً، أو هو انصهار أفق القارئ بأفق كاتب النص (ج. غدايمر). بالرغم من أن سلطة أفق التلقي (كاستراتيجية) هي التي تمنح النص/الكلام وجوده الفعلي، و هو ما يعرف بالقدرات المعرفية لكل متلق، إذ أن سلطة المترجم (المتلقي) هي كمية وليست نوعية أيضاً، ذلك لأن طاقة مادة النص هي كامنة فيه أصلاً (بالمعنى العطالي Inertial)، بالرغم من صعوبة الفصل بين مادة النص وحقلها الدلالي/التداولي. (16) و هو ما يكون أكثر وضوحاً في تعدد الترجمات لنفس النص وفي نفس الفترة الزمنية أيضاً.

كما أن "سلطة المتلقي" (أو المترجم) تكون محكومة بـ "حقول التلقي"، طبقاً لنسبية المكان و الزمان أيضاً. ذلك لأن المتلقي/المترجم يحدث تغييراً في "نص المؤلف" ضمن استراتيجيات التلقي، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار أنه تغييراً كمياً وليس نوعياً. إذ هو انصهار أفق القارئ بأفق كاتب النص (ج. غدايمر). وبالرغم من أن سلطة أفق التلقي هي التي تمنح النص وجوده الفعلي، أو ما يعرف بـ "الاهلية المعرفية" لكل متلق على حده. ذلك لأن طاقة المادة الكلامية، ضمن الاحداثيات البنيوية للمنظومة المفهومية الواحدة/القيمية، هي كامنة في النص أصلاً (بالمعنى العطالي Inertial) رغم صعوبة الفصل (بنيوياً) بين مادة النص و حقلها الدلالي والتداولي. هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن النص "بنية" لها تحليلاتها الدلالية الداخلية المحيطة. () و هذا الأمر يكون أكثر وضوحاً في تعدد الترجمات لنفس النص، سواء في نفس الفترة الزمنية أو في فترات متباعدة، ليس فقط بسبب إشكاليات الترجمة من فوضى الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي فقط..

الصراع (أو البرنامج السردى) بين نص المؤلف و نص المترجم (المؤول)

لأن الصراع بين برنامجين سرديين هو لازم سيميائي من أجل إنتاج المعنى (غريماص) (17)، و بالتالي يمكننا أن نعتبر أن "كينونة" (نص المترجم) لها برنامجاً سردياً تختلف عن البرنامج السردى لـ "كينونة" نص المؤلف، بل ومتصارعان أيضاً من أجل "امتلاك القيمة"، من بالإضافة والحذف في: الهوامش، الشروحات، التفاسير، التعليقات.. الخ. حتى يتحول المتن (النص الاصلي للمؤلف) الى "ضمير غائب" لصالح "ضمير المتكلم" (السارد: المترجم نفسه).

ولأننا اعتمدنا هنا، "البرادتم العاملي" (غريماص): تحفيز، تأهيل، انجاز كـ "فعل كينونة"، الجزء. فأن التأهيل يكون الأكثر وضوحاً في مقدمة المترجم. بل ربما لا نبالغ إذا قلنا كلما كان الصراع قوياً (من أجل امتلاك القيمة للكينونة) كان النص المترجم أكثر حيوية. أو هي "الدينامية" التي تمنح النص حيويته.. أو من ناحية أخرى، هو تعدد التأويل طبقاً لتغير طاقة هذا الحقل من ذات متلقيه الى أخرى، وبالتالي في كيفية تعددية إنتاج المعنى من النص لكل "كينونة" فردية منتجة للترجمة. (من كتاب سلطة الكلام، 23، 150) (هل هناك معنى آخر لنتائج فالتر و دريدا؛ بشأن اشغالهما على معنى الترجمة؟)

نحن الآن نكون قد أصبحنا في مواجهة مباشرة تخص "الاستراتيجيات الخطائية" للسان العربي (هنا والآن)، بالمعنى التزامني للواقعة اللغوية، و ليس بالمعنى الاستشكالي لترجمة المفاهيم فقط. اذ تبدو المسألة تواجه مجموعة اكراهات تتحدى كل مترجم، ذات/ كينونة، في كيفية التلقي، لعل منها:

(*) تلك الاستراتيجيات الخاصة بـ "كيفية انتاج الحقيقة"، وكما جاءت في النتائج الباهرة لبحاث ميشيل فوكو وتحديدا (الحفريات). او تلك التي..

(*) تخص "كيفية امتلاك القيمة"، لدى ج. غريماص، تلك الدقة النظرية التي جعلت: كل سلوك بشري قابل للتحليل، باعتبار قابليته للتدوال. الاكراهات، او القيود، التي تعيق الذات (ككيان و كفعل) من اجل "استهداف الموضوع" بقيمه الوصفية، التي تنقسم الى

قيم تداولية (نابعة من كل العوالم القيمة للممكن).

قيم معرفية (مكونة بمعرفة الموضوع، و ليس باستهداف موضوع القيمة). (19)

(*) كما ان تحديد اهلية/ كفاءة المترجم، وفقا لمساره السردى، هو امر شديد الاهمية. "اذ من البديهي ان الذات لا يمكنها القيام بالانجاز الا اذا امتلكت مسبقا الكفاءة الضرورية.. فاذا كان الانجاز، بالرغم من الاكراهات المعيقة، يوافق العمل كـ "فعل كينونة"، فان الكفاءة يمكن ان تصاغ في نفس السجل الحدسي، كشرط ضروري للعمل، باعتبارها "من يوجد. الكينونة". () كما يمكن اعتبارها ايضا، مجموع الاكراهات، التي يتميز بها الكون الدلالي لـ "البنية العميقة"، ما قبل الكتابة. او هي "اليات الاختيار" التي تحدد قابلية هذا النص للترجمة دون غيره (التحفيز).

(*) كما ان "البنية العميقة"، او الاستراتيجيات الايديولوجية ان شئنا، هي احدى المعوقات التي تعترض الاختيارات للنصوص قبل فعل الترجمة. بل هي ايضا احدى المعوقات، خلال المسار (السردى)، من اجل انجاز مهمة المترجم. "فقد بذل بعض مترجمينا جهودا مضنية لاجراء نصوص مثل نصوص ميشيل فوكو او ليفي اشتراوس، واجهدوا انفسهم ليجعلوا اللغة العربية، التي مازالت لم تهضم بعد الاسس الفلسفية للفكر المعاصر، و ترتقي الى مستوى تلك النصوص" (الترجمة 39)، التي لم تجد الرواج و الانتشار الجديرة بها الا بعد سنوات من صدورها. (21). والعكس صحيح ايضا. اذ ربما تكون عامل مساعد في انجاز مهمة المترجم من جهة أخرى. فقد تكون هي البيئة الحاضنة لانتشار بعض الترجمات دون غيرها، بغض النظر عن القيمة المعرفية للنصوص.

مدخل ثان

لكن بالرغم من كل ما سبق، الاكراهات والمعوقات، بل ربما بفضل ذلك، فان شروط الاجتهاد، المثابرة، الاخلاص والمسؤولية العلمية هي التي تحدد درجة الانجاز اى عمل، وليس في الحقول الفكرية فقط. باختصار: ان قيمة اى عمل تتحدد بمقدار الجهد المبذول في انجاز هذا العمل. كما ان هناك عديد من الادباء، رغم انهم ليسوا مترجمين محترفين، فقد ترجموا نصوصا نابضة بالحياة و النضارة. مثال: ترجمة ممدوح عدوان لـ "الطريق الى غريكو"، كزانتزكس.

هنا نود التوقف قليلا؛ امام مسألة "الاهلية" (Competence)، او المسؤولية المعرفية للمترجم. وحتى لا نقع في فخ التعميم، كان اختيارنا لـ "البنية" Structure، "النظام"، "النسق" (Order)، حتى نتبين كيف كانت بعض الترجمات كانت تعاني من قصور معرفي. كما ان سبب اختيار لهذه العينة، لانها من المفاهيم الاساسية (Keyword) في حقول علوم اللسانيات والسيمياء. ولانها مفاهيم تمت استعارتها من علوم الرياضيات الحديثة، القرن 19 تحديدا، فأن الامر يتعلق ببعض شروط الاستعمال، ضمن شروط السياق و المرجعية، على سبيل المثال:

(*) ان المصطلحات في العلوم التطبيقية (التجريبية) لها شروط استعمال جد منضبطة ودقيقة. ربما بفضل الانجازات العلمية ومنتجاتها، على مدى اكثر من قرنين تقريبا، في تغيير تفاصيل حياتنا اليومية. فكان على العلوم الاجتماعية، حسب تعبير اشتراوس، ان تتعلم هذا الدرس. وهو ما يمنحها الاستحقاق انضمام لحقول العلوم التطبيقية. اذ اصبحت تعاني من ترهل المصطلحات وعشوائية الاستخدامات، ربما نتيجة هيمنة حقول الايديولوجيات المعيارية: قيمتي الصواب والخطأ، الحقيقي و الزائف..الخ.

ان الخطر الوحيد الذي يهدد التأويل هو ان نؤمن بوجود علامات تتمتع بوجود اصلي، اولى، حقيقي (...) وعلينا ان ندرك جيدا، الامر الذي يتنساه معظم المفكرين المعاصرين، وهو ان التأويل والسيمولوجيا عدوان لدودان. فاذا كان التأويل ما يرد نفسه الى السيمولوجيا فانه سيكون مضطرا لان يؤمن بوجود العلامات والدلائل وجودا مطلقا ونهائيا. (3)، أو كما يقول البرت اينشتاين: "إن من أحد المفاهيم الأكثر بدائية هو مفهوم الشيء (الجسم أو الهوية).. اي يجب أن نبتعد أكثر عن التصور الميكانيكي القديم ؛ ففيزياء "الكوانتم" تصوغ قوانين تحكم مجموعات، وليست حالات منفردة. كما لا يتم فيها وصف الخصائص وإنما الاحتمالات، ولا تصاغ القوانين التي تكشف عن مستقبل المنظومات، بل القوانين التي تحكم تغير الاحتمالات مع الوقت والتي تتعلق بمجموعات كبيرة من الحالات المنفردة.."(5)

عودة على بدء.. "هجرة المصطلح"

"ان البنوية قد وصلت مرحلة يجب عليها أن تحتفي تلقائياً.. وهي ليست فلسفة كما لا تستطيع ان تكون منهجاً.."
(ميشيل فوكو) (18)

نحن الان في مواجهة مباشرة تخص "الاستراتيجيات الخطابية" لدى اللسان العربي، هنا والان، بالمعنى التزامنية في دراسة الواقعة اللغوية، او اشكالية ترجمة المفاهيم. ويبدو ان المسألة تواجه مجموعة اكراهات تتحدى ذات (كينونة) ذات المتلقي (المترجم)، لعل منها: تلك التي تخص "الاستراتيجيات الخطابية" في كيفية انتاج الحقيقة، وكما جاءت في النتائج الباهرة لاجتات فوكو في كتاب (حفريات المعرفة) خاصة. و الاخرى تخص "كيفية امتلاك القيمة"، لدي ج. غريغاس، في تلك الدقة النظرية، التي جعلت: كل سلوك بشري قابل للتحليل، باعتبار قابليته للتداول ايضا. و من تلك الاكراهات تعيق الذات (ككيان و كفعل) من اجل "استهداف الموضوع بقيمة وصفية، التي تنقسم الى: قيم تداولية (نابعة من كل العوالم القيمة للممكن) و قيم معرفية (مكونة بمعرفة الموضوع و ليس باستهداف موضوع القيمة).."(19)

اذ بالرغم من هذه الاستراتيجيات الخطابية، و التي يمكن اعتبارها، حسب غريغاس، مجموع الاكراهات، التي يتميز بها الكون الدلالي (البنية العميقة) ما قبل الكتابة. او هي "آليات الاختيار" التي تحدد قابلية هذا النص للترجمة دون غيره (التحفيز). فأن تحديد الاهلية/الكفاءة للمترجم، و وفقا للمسار السردى له، هو امر شديد الاهمية. " ذلك لانه من البديهي ان الذات لا يمكنها القيام بالانجاز الا اذا امتلكت مسبقا الكفاءة الضرورية.. اذا كان الانجاز، بالرغم من الاكراهات المعيقة، يوافق العمل ك "فعل". كينونة"، فإن الكفاءة يمكن ان تصاغ في نفس السجل الحدسي كشرط ضروري للعمل، باعتبارها "من يوجد - الكينونة". (20)

كما ان "البنية العميقة"، او الاستراتيجيات الأيديولوجية، وهي احدى اكراهات التي لا تعيق الاختيار النصوص المترجمة قبل التحلي النصي (لفعل الترجمة) فقط، بل هي من الصعوبات التي تعيق كفاءة المترجم، خلال المسار (السردى)، من اجل انجاز

مهمة المترجم. و العكس صحيح ايضا، فأثما ربما تكون عامل مساعد في انجاز مهمة المترجم، ومن جهة اخرى تكون هي البيئة الحاضنة المساعدة في انتشار الترجمات المختلفة. فكم من ترجمات جد مهمة معرفيا وابداعيا، لم تجد الرواج والانتشار الكافي الا بعد سنوات من صدورهما. مثال كتابات وتراجم رواد اللسانية العربية من تونس والجزائر خاصة، المسدي قريمادي.(21)

و بعد كل ما سبق فإن "المعنى" الاصلي و الخالص النقاء للنص، باعتباره معنى واحد وحيد موجود بالقوة، وكل ما علينا فعله هو اجادة اللغتين والاجتهاد للوصول اليه، قيمة انجاز نجاح الترجمة تتوقف علينا بالتالي في مدى قربنا من اصل النص.. ما هو سوى مجهود عبثي لا طائل من وراه. وبكلمة واحدة حادة وجارحة ايضا، ما هو سوى اوهام تبحث عن اساطير السلالة و الانحدار، اوهام ميتافيزيقية في غير مكانها. فليس هناك سوى "معنى متعدد وقابل للتأويل"، اذ هي لعبة المرايا الابدية (بارت).

الهوامش:

(*) "البنية" و "النظام" كمفهوم تمت استعارته من علوم الرياضيات الحديثة، الى حقول اللسانيات، و من ثم الى "علوم السيميائيات" فيما بعد..!

- (1) هذه الفقرة من: محمد عبد الحميد المالكي، "سلطة الكلام/ مشروع بيان السيميائيات السردية"، دار البيان بنغازي، ليبيا، 2003
- (2) عبد السلام المسدي، الاسلوبية و الاسلوب/ نحو بديل السني في نقد الادب، الدار العربية للكتاب، ليبيا\تونس، 1977
- (3) جان بياجيه، البنيوية، ت عارف منيمه، بشير اوبري، منشورات عويدات، ط 2، 1982
- (4) في كتاب الاخير خاصة (المورفولوجيا الاجتماعية، أو علم الشكل الاجتماعي)، وذلك طبقاً للتقاليد الخطائية (القرن 19)، من تأثير علوم الأحياء (البيولوجيا)، وخاصة "التطورية الدارونية"، بل وطغيان وهيمنة مفاهيمها ومصطلحاتها، ليس على حقول "العلوم الإنسانية" فقط، بل على العلوم التطبيقية/البحثة أيضاً.
- (5) دراسة لصالح القريمادي؛ نشرت بالفرنسية؛ الحويلات التونسية 1974، ونشرت كملحق لترجمة كتاب "دروس في اللسانيات العامة"، ف. دو سوسير، ت محمد الشاوش، محمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس، 1985
- (6) عبد السلام بنعبد العالي، في الترجمة، ت كمال التومي، دار توبقال المغرب، 2006، ص 24
- (7) السابق، ص 14
- (8) جاك دريدا، استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، ت عز الدين الخطابي، افريقيا الشرق، المغرب، 2013، ط 254
- (9) محمد عبد الحميد المالكي، من استراتيجيات خطاب الكلام منجحة، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2008
- (10) عبد السلام بنعبد العالي، في الترجمة، ص 23
- (11) جان كوهن: بنية. اللغة الشعرية، ت محمد الولي و محمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقال، 1986، جورج لايفوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نخبها، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال المغرب، 1996
- (12) عبد السلام بنعبد العالي، في الترجمة، ص 25
- (13) (السميوزيس Semiosis، كيفية إنتاج المعنى)، أو السيميوز، حسب تعريب سعيد بنكراد لمصطلحات سيميائيات بورس: "إن الموضوع الرئيس للسيميائيات هو السيروورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة..". لمزيد من التفاصيل: بنكراد، "السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش. بورس".
- (14) محمد عبد الحميد المالكي، "سلطة الكلام/ مشروع بيان السيميائيات السردية"، ص 23
- (15) السابق، هامش 82
- (16) السابق، 150
- (17) محمد عبد الحميد المالكي، من استراتيجيات خطاب الكلام منجحة، ص 15

- (18) محاضرة (نادي الطاهر حداد) عندما كان استاذاً في جامعة تونس، (1966) ترجمها وعلق عليها عبدالمجيد يوسف، مجلة الحياة الثقافية تونس عدد 130 لسنة 2001
- (19) من مقدمة غريصاص لكتاب جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائيات السردية والخطابية، ت جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر 2007، ص3. و هذا ما سنتعرض له بعد قليل، ب "ضرورة امتلاك" بعض المعارف للمبادئ العامة للرياضيات و فلسفتها (المنطق الرياضي)، ك "تأهيل ضروري" (فرض عين)، ليس للمتخرجين فقط، بل لكل الطلبة و الباحثين في حقول اللسانيات و السيميائيات ايضا. كما نود، بل و بإلحاح شديد من اجل اقتراح هذا الامر في توصيات هذه الندوة الموقرة.
- (20) السابق، ص33
- (21) (المسدي قمرادي) . مثال كتابات وتراجم ، او سبب انتشار ترجمات بارت، غياب الدراسات والبحوث النظرية لللسانيات (رواد اللسانية العربية من تونس والجزائر خاصة) السيميائيات (مدرسة باريس السيميائية) او (مدرسة الاختلاف الفرنسية)
- (22) تفتّنت ككثير من الباحثين إلى أن التراكم النحوية كتراكيب؛ أي: كأبنية وصيغ، جوهرها رياضي، وتخضع لمنطق الرياضيات، وإنما الذي تفتّنت إليه بصفة خاصة هو ماهية البنى الرياضية التي تختصّ بها اللغة. والسابق إلى هذا هو الخليل بن أحمد النحوي العربي العبقري... أما محتوى النحو كمفاهيم وككيفية انتظامه - كما ورثناه من النحاة العرب - فهذا لا يقدر على معالجته؛ أي: إعادة النظر فيه، إلا علماء النحو الملمّون لعلوم اللسان القديمة والحديثة بطرائق علمية يعرفها أهل الاختصاص، وهذا ضروري؛ لأن كل شيء يجب أن يتطور ويترقى، ولكن بشروط صارمة.. فالذي يجب تبسيطه في تعليم النحو الصريح هو - في نظري - تقديم القواعد لا بالنص الذي وضعه المتأخرون، بل على شكل أبنية ترسم برسوم بيانية ترافقها توضيحات، وهذا لا يُكسب الملكة اللغوية، إنما يُدعم بفهم آليات اللغة ما سبق من اكتساب تلك الملكة. (راجع في ذلك كتابنا: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، طبعة الجزائر).

مراجع اخرى ذات علاقة:

- (1) سعيد بنكراد، مدخل الى السيميائيات السردية، دار تانسيفت، المغرب، 1994
- (2) امبرتو ايكو، المؤلف ومفسره ، ت ياسر شعبان ، دار السندباد ، القاهرة 2000
- (3) جورج مونان، مفاتيح اللسانية، ت الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس 1981
- (4) ديفيد وورد (تحرير) بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ت سعيد الغامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء ، 1999
- (5) حفريات المعرفة، ت سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت 1986
- (6) جورج كانقيلهم، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها ، ت خليل احمد خليل ، دار الفكر اللبناني ، بيروت 1996